Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البلاغة العربية بين الأمس واليوم

- ١ -

تدرجت البلاغةُ العربيةُ من لدن الجاهلية، إلى أيامنا الماثلة، واختلفت في طرائقها وأساليبها حَسْب الزمان والمكان، وتنوّع الثقافة، ومستوى المتلقين، والسياسات التي كانت ترسم مسارَ الحياةِ والأدب في كلِ فترةٍ من فترات الحكم والنفوذ.

ففي الجاهلية - وأعني الفترة التي وصلتنا منها نصوصٌ موثوقة - ارتبطتْ النظراتُ البلاغية، بجهود أصحابها، إذ لم يكن هناك فَرْقٌ بين التوجيه البلاغي، أو الأدبي، أو النقدي، وذلك لأن بدايةَ العلومِ والفنون لا تعرفُ الفصلَ بين الفروع، فمثالُ طَرَفة، مع المسيب بن عَلَس:

وقد أتناسى الهمّ عند ادكّاره بناجٍ عليه الصَيعريةُ مكدم

في قول طرفة: استنوق الجمل: يبدأ به مؤرخُ الأدب، وبه يبدأ مؤرخُ النقد، وعليه يعوّل في البدايات، المتحدثُ عن أوليات البلاغة العربية، ومثلُ ذلك: في نقد النابغة، والخنساء، وغير ذلك في الأحكام التي نراها مبثوثةً في تضاعيف كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (- ٣٥٦ هـ)، وكتاب «الموشح» للمرزباني (- ٣٨٤ هـ)، وطبقات فحول الشعراء، لابن سلاّم الجمحي (- ٢٣١ هـ)، ودواوين الشعراء، والطبقات، والأخبار.

وهذه مرحلة - في رأيي - غير ناقصة من وجهة النظر البلاغية والنقدية، وذلك لأنها، كانت ذاتَ رسالةٍ في وقتها، وأثرت في المجتمع الجاهلي بأحكامها. وإن كنّا نوجّه إليه النقص في أيامنا الحاضرة. فهذه قضيةٌ أخرى. أي أننا ننظر إلى البلاغة العربية في العصر الجاهلي، بعين الحاضر.